أ-النشأة والمصدر الاسلامي

المدرس المساعد : حسين رسن عبدالحسين

husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

استكمالا للمحاضرة السابقة نرى ان القران الكريم يعدُّ بأجمعه بالنسبة للمسلمين كالروح لأنّهُ صادرٌ من الله مباشرة وان كل اية من آياته تحتوي على الاسرار الالهية الكثيرة سواء كانت تلك الآيات تخص الترهيب ام الترغيب، تأريخيه كانت ام اخلاقية...الخ، فإننا نجد ان القران قد رصعه بالبعد الروحاني العرفاني على آياته وان كانت هناك آيات للأحكام التي تصل الى خمسة بالمئة تقريبا من آياته فإننا نرى الطابع الروحي فيها، فيجمع التصوف الاسلامي بين الظاهر والباطن فهو يدعوا للعمل والنشاط المعيشي وفي الوقت نفسه الى الخلوة مع المحبوب ، وهذا يعود لكمال وجامعية الشخصية الرسالية لنبينا الأكرم محمد (ﷺ) وصاحب السلاسل الأمام علي (عليه السلام) .

وهناك رأي آخر يقول ان التصوف الاسلامي اخذ مواده الاولية من الاسلام مؤسسا لها بعض القواعد والاصول متأثرا كذلك بتيارات خارجة عن الاسلام-ولا سيما الافكار الكلامية والفلسفية و الاشراقية منها_ متعرضا الى بعض المؤثرات الطفيفة عليه من تلك الحضارات القديمة او الديانات السابقة للإسلام-كما سنرى لاحقا- اذ ان ذلك الاثر الحاصل له لم تظهر عليه في بدايات تكوينه الاولى بل ظهر اثرها في وقت متأخر عنه، وبصورة محدودة وعند بعض رجالاته اذ كانت بدايات التصوف حالة زهدية حصلت عليه مراحل تطورية وعلى مدى قرون متعددة وهي ردة فعل لزخرفة المدنية وزينتها التي انفتحت ابوابها على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات وانغماسهم في ترف الدنيا ونعيمها ثم حصلت فيه التطورات ، ودخلت افكار اجنبية والفلسفات غير اسلامية، فإذا كان هناك سلوكا او منهجا تربويا صوفيا معيناً يعود بتأثره من بعض الديانات او الفلسفات الاخرى، من الطبيعي ان نجد ذلك يستوعب من دون ان يقع في تبنيه.

أن كل ما ذكروه من وجود الشبه في بعض المفاهيم الصوفية هي ليست دليلاً على التأثير والاقتباس ، فالمتصوفة يرون ان افكارهم نابعة من الأسلام ومنطبقة عليه من دون أي انحراف مبرّئين أنفسهم من كل سلوك خاطئ أو التقاط ، وان من المتسالم عليه في

التصوف الاسلامي انه قد اخذ مادته الاساسية من الاسلام، فالقران والسنة ملاكا ومعيارا في التقويم عند المسلمين ، وهناك شواهد على ذلك ، فتصريح كبار اعلام الصوفية بأن ما وصلوا اليه من المعارف يرجع في ذلك الى اتباعهم للكتاب والسنة ، وكذلك من خلال النظر للمصطلحات والمفردات المستعملة في نصوصهم ، وايضا وجود نكات روحية صوفية في القران والسنة وحضورها في وجدان كل مسلم .

ولكن هناك تساؤل يقول ما هو حجم التأثير الذي تركته التيارات الخارجة عن التصوف الاسلامي عليه؟ فهل اجتذبتها وصبغتها بصبغته موظفاً لها لصالحه ام ان التيارات هي من اجتذبته عاملة على تسييره باتجاهها؟ ولهذا نقول ان الذين انطلقوا في تقويمهم للتراث العربي الاسلامي عموما في نقطة بدء خاطئة تتنكب اصلا الموضوعية وتقوم على التنكر التام لماضي هذه الامة والاستخفاف بمقوماتها الحضارية، ومنجزاتها الفكرية ، وان الاسلام اغنى واعمق فليس التصوف الاسلامي بتلك البساطة والخواء الذي فرضوه اعداء الاسلام منحصرا بذلك الزهد البسيط ولا الآداب الاسلامية محدودة بأعمال الظاهر والرسوم بل ان نجاح علماء التصوف الاسلامي في تثبيت القواعد والاصول في المواد الاولية كنجاح علماء الفقه، فلم يعمل المتصوفة لأنفسهم مذهبا اسلاميا خاصا بهم، بل جعلوا لها حضورا في جميع الفرق الاسلامية مشكلين في ذلك مجاميع متكاتفة ومتعاضدة ميزهم كفرقة مذهبية واجتماعية مخصوصة من خلال افكارهم وآرائهم وازيائهم وسكنهم في صوامعهم الى شعر رؤوسهم ولحاهم، مستعملين لغة وعبارات رمزية، وهذه اللغة لها عدة وجوه ومعانٍ عدّة فلها معنى ظاهر وكذلك لها معنى باطن إذ يصعب فهمها اذ تحتاج الى التحليل العميق والدقيق ، ومن الصعب فهم تلك التعابير كونها حالات وجدانية فردية وذاتية غير مشتركة مع الاخرين.